تخصيص المعنى في ألفاظ الجسد وأعضاؤه وحالاته عند ابن سيده (ت٤٥٨هـ)

المشرف: أ.د. صالح ذيب صالح
جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات
salehtheab123@gmail.com

الباحثة: ليلى عباس عمر
جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات
laylaabbas104@gmail.com

الكلمات المفتاحية: ابن سيده، ألفاظ الجسد، تخصيص المعنى، تضييق الدلالة، المخصص، المعنى الخاص، المعنى العام.

كيفية اقتباس البحث

صالح , صالح ذيب , عمر , ليلى عباس , تخصيص المعنى في ألفاظ الجسد وأعضاؤه وحالاته عند ابن سيده (ت٤٥٨هـ),مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، آذار ٢٠٢٦, المجلد:١٦, العدد:٣.

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Specifying the meaning of terms related to the body, its organs, and its conditions according to Ibn Sidah (d. 458 AH).

Prof.Dr Saleh Theab Saleh
Tikrit Universty College of Education for Girls
salehtheab123@gmail.com

Layla Abbas Omar
Tikrit Universty College of Education for Girls
laylaabbas104@gmail.com

Keywords: **Son of master, body words, allocation of meaning, narrowness of meaning, custom, general meaning, special meaning.**

How To Cite This Article
Saleh , Saleh Theab , Omar , Layla Abbas , Specifying the meaning of terms related to the body, its organs, and its conditions according to Ibn Sidah (d. 458 AH). ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, March 2026,Volume:16,Issue 3.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abctract

One of the most important semantic topics in Arabic is the phenomenon of meaning allocation, which deals with how the word moves from a general connotation involving more than one subject to a specific connotation. This shift shows linguists' eagerness to control semantics and understand their course in different usages, as well as their understanding of the relationship between general and special meaning in an Arabic lexicons.

This research focuses on examining the allocation of meaning in body terms, organs and states as handled by master's son in his lexicography,

by tracing the connotations that have gone from a general sense to a specific meaning associated with a particular organ or state of the body. Research was based on the descriptive, analytical approach, using lexical evidence from his masters son It shows how it documents public and private meaning, and sometimes combines them. The study showed that body language is a rich field of meaning allocation, showing a clear semantic path from generality to privacy, with lexicographical concern to provide a comprehensive and precise definition that reflects the richness of the Arabic lexicon and the accuracy of linguistic observation.

الملخص

تُعدّ ظاهرة تخصيص المعنى من أهم الموضوعات الدلالية في اللغة العربية، إذ تتناول كيفية انتقال اللفظ من دلالة عامة تشمل أكثر من موضوع إلى دلالة خاصة تتعلق بشيء محدّد. ويُظهر هذا الانتقال حرص اللغويين على ضبط الدلالة وفهم مسارها في الاستعمالات المختلفة، كما يعكس إدراكهم للعلاقة بين المعنى العام والخاص في المعجم العربي.

ويركز هذا البحث على دراسة تخصيص المعنى في ألفاظ الجسد وأعضائه وحالاته كما عالجها ابن سيده في معجميه، من خلال تتبّع الدلالات التي انتقلت من المعنى العام إلى المعنى الخاص المرتبط بعضو معيّن أو بحالة محددة للجسم. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مستعينًا بالشواهد المعجمية عند ابن سيده، مع إبراز كيفية توثيقه للمعنى العام والخاص، وأحيانًا الجمع بينهما. وتبيّن من الدراسة أنّ ألفاظ الجسد تمثّل مجالًا غنيًا لتخصيص المعنى، إذ يظهر مسار دلالي واضحًا من العمومية إلى الخصوصية، مع حرص المعجمي على تقديم تعريف شامل ودقيق يعكس ثراء المعجم العربي ودقة الملاحظة اللغوية.

المقدمة

الحمد لله عظيم الشأن، ذي المنة والإحسان، والصلاة والسلام على أشرف الناطقين باللسان العربي المبين، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

تُعَدُّ ظاهرةُ تخصيصِ المعنى من الظواهر الدلالية البارزة في العربية، إذ تنتقل الألفاظ في كثير من الاستعمالات من دلالتها العامة إلى دلالة أخصّ يقيّدها السياق أو مجال الاستعمال. وقد تنبّه اللغويون والمعجميون إلى هذه الظاهرة مبكرًا، فعملوا على بيان الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة، وإيضاح ما يطرأ على دلالاتها من تضييق أو تخصيص. ويُعَدّ ابن سيده من

أبرز المعجميين الذين أولوا عناية واضحة بتنظيم المادة اللغوية وتصنيفه، كما يتجلى ذلك في معجميه المخصص والمحكم والمحيط الأعظم، اللذين حويا مادة لغوية غنية تكشف عن دقة نظره في تتبع الدلالات واستعمالاتها.

وجاء هذا البحث الموسوم بـ (تخصيص المعنى في ألفاظ الجسد وأعضاؤه وحالاته عند ابن سيده (ت٤٥٨هـ)) وهو بحث مستل من اطروحة دكتوراه موسومة بـ (تخصيص المعنى عند ابن سيده (ت٤٥٨هـ) في معجميه المخصص والمحكم والمحيط الأعظم)، للوقوف على مظاهر تخصيص المعنى في الألفاظ المتصلة بأعضاء الجسد وحالاته وهيئاته كما ورد في معجمي ابن سيده، من خلال تتبع الألفاظ التي خصصت دلالتها في هذا المجال، وتحليل النصوص المعجمية التي وردت فيها. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء المادة اللغوية وتحليلها للكشف عن طبيعة هذا التخصيص وأبعاده الدلالية، ويسعى البحث من خلال ذلك إلى إبراز جانب من منهج ابن سيده في معالجة المادة المعجمية، وبيان دقة ملاحظته للفروق الدلالية بين الألفاظ في هذا الحقل.

واعتمد البحث على مصادر عدة ومتنوعة منها كتب المعاجم وأهمها العين للخليل (ت١٧٠هـ)، وجمهرة اللغة لابن دريد (ت٣٢١هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري (ت٣٧٠هـ)، والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) وغيرها من المصادر والمراجع الأخرى.

وقسمنا البحث بحسب طبيعة الموضوع على ثلاثة مباحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة، فكانت على النحو الآتي:

جاء المبحث الأول بعنوان: (أعضاء الجسد وما يطرأ عليه) وفيه تناولنا تحليل مجموعة من الألفاظ المتعلقة بأعضاء الجسد، وجاء المبحث الثاني بعنوان: (صفات الأعضاء وهيئاته الخِلقية) وتناولنا فيه الألفاظ المتعلقة بصفات الأعضاء الجسدية والهيئة التي تكون عليها، أمَّا المبحث الثالث فسميناه: (أحوال الجسد ووظائفه الحيوية)، وقد تناولنا فيه الألفاظ المتعلقة بحالة الجسد وما يصيبه من أمراض وغيرها، وختمنا البحث بخلاصة تناولنا فيها أهم ما انتهى إليه البحث من نتائج.

وحسبنا أَنَّنا بذلنا الجهد فما كان من نقص فمن أنفسنا، وما كان من إصابة فمن توفيق الله فهو حسبنا ونعم الوكيل.

تخصيص المعنى في ألفاظ الجسد وأعضاؤه وحالاته

المبحث الأول: أعضاء الجسد وما يطرأ عليه

تُظهر دراسة ألفاظ الجسد عند ابن سيده كيف يُخصّص المعنى في اللغة العربية، حيث تنتقل بعض الألفاظ من الدلالة العامة إلى دلالة خاصة مرتبطة بعضو معيّن أو بحالة محددة. وفي ما يلي تحليل لمجموعة من ألفاظ أعضاء الجسد، مع بيان المسار الدلالي لكل لفظ وما أضافه المعجمي من توضيح للمعنى العام والخاص.

البثر:

قال ابن سيده: ((والبَثْر: خُرَاجٌ صِغَار واحدته بَثْرة)) (ابن سيده،١٩٩٦ ،٤٨٢/١)، في هذا النص يورد ابن سيده المعنى في إطارها العام، إذ يجعل البَثْر اسما لكل خُراجٍ صغيرٍ من غير تخصيص بموضعٍ محدد من الجسد، ثم أضاف تخصيصا للمعنى في نص آخر قائلا: ((البَثْرُ والبَثَرُ خُراجٌ صِغارٌ وخَصّ بَعْضُهُم به الوَجْهَ واحِدَتُه بَثْرَةٌ وبَثَرَةٌ)) (ابن سيده، ٢٠٠٠ ، ١٤٤/١٠)، ففي هذا النص يظهر اهتمامه بتخصيص معنى اللفظ للوجه تحديدا ضمن المعنى العام للخُرّاج الصغير، مبرزًا الفرق بين الاستخدام العام للفظ واستخدامه الخاص.

وإذا رجعنا إلى ما قرره المتقدمون قبل ابن سيده، وجدنا أن المعنى كان يدور في إطار المعنى العام، فقد عرفه الخليل بقوله: ((البَثْرُ: خُرّاجٌ صِغارٌ، الواحدة بَثْرَةٌ)) (الخليل، د. ت ،٢٢٢/٨)، وهو تعريف ركز على المعنى العام دون تخصيصه بأي عضو من أعضاء جسد الإنسان وهو ما أثبته بعض العلماء دون إشارة إلى المعنى الخاص (ابن دريد، ١٩٨٧ ،٢٥٩/١) و(الفارابي، ٢٠٠٣ ،١٠٥/١)، ولا يخلو كلام الأوائل من الإشارة إلى تخصيص معنى البثر للوجه مباشرة ومنهم أبو عبيد، فقال: ((وبَثِرَ وجهُه يَبْثَرُ بَثَراً، وبثَر يَبْثُرُ بَثْراً، وهو وجهُ بَثِرٌ من البَثْر)) (أبو عبيد، ١٩٩٥ ،٤٨٦/٢)، وأكد ابن قتيبة المعنى نفسه بقوله: ((وبثر وجهه يبثر، وبثر يبثر)) (ابن قتيبة، ١٩٩٧ ، ٤٤٩/١)، فهناك ميلًا واضحا عند الكثير من العلماء السابقين للربط بين البثر والوجه (لويس معلوف، ١٩٠٨ ،١٣٧/١) و(الفارابي، ٢٠٠٣ ،٢٣١/٢) و(الأزهري، ٢٠٠١ ،٦١/١٥)، وهو ما يظهر أن التركيز على المعنى الخاص للبثر

كان الغالب عند من سبقوا ابن سيده مما يظهر توافقا جزئيا مع ما ذهب إليه ابن سيده فيما بعد، إلا أنهم لم يعبروا عن ذلك صراحة كما فعل ابن سيده، وإنما كانت مجرد إشارة ضمن معاني اللفظ.

وقد تلقّى اللاحقون هذا المعنى وأثبتوه في مصنفاتهم، فجمعوا بين المعنى العام والخاص ومنهم ابن منظور، فقال: ((البَثْرُ والبَثَرُ والبُثُورُ: خُرَّاجٌ صِغارٌ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الْوَجْهَ، وَاحِدَتُهُ بَثْرَةٌ وبَثَرَةٌ)) (ابن منظور، ١٩٩٣، ٣٩/٤)، مؤكدا أن البثر هو خُرّاج صغار مع تخصيصه للوجه لدى بعض المستعملين، فهو يكرر ما ذكره ابن سيده، وتبعه علماء آخرون في ذلك مثبتين المعنيين معا (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، ٣٤٥/١) و(الزبيدي، د. ت، ١٠٢/١٠) و(أحمد رضا، ١٩٥٨، ٢٣٨/١).

ويتضح من تتبع هذه الآراء أن ابن سيده لم يبتدع المعنى الخاص للبثر، فقد سبقه غالبية العلماء إلى تخصيصه على أنه خُرّاج صغار يكون في الوجه، إلا أن ابن سيده تميز بدقته في تخصيص المعنى للوجه وإبرازه كحالة خاصة ضمن المعنى العام معبرا عن ذلك صراحة، مع المحافظة على الصياغة اللغوية الدقيقة للمفرد والجمع (بَثْرة، بَثَرَة، بُثُور)، وهو ما لم يفعله غالب العلماء السابقين الذين ذكروا الوجه فقط كإشارة أو مثال، دون التركيز عليه، فنجد اتفاقًا كاملًا على المعنى العام للبثر كخُرّاج صغار، بينما يظهر اختلاف طفيف في التركيز على الوجه، فبعضهم ذكره مباشرة ، وبعضهم الآخر اكتفى بالإشارة أو ترك المعنى عامًّا، أما ابن سيده فقد جمع بين المعنى العام والخاص للوجه بشكل متقن ومنظم.

الذفر:

قال ابن سيده: ((والذَّفَر شدّة ذَكَاءِ الرّيح من طِيبٍ أَو نَتْن)) (ابن سيده، ١٩٩٦، ٧٤/١ و١٧٨/٤)، فهو يقرر أولا المعنى العام ، فالمعنى عنده قائم على شدّة الرائحة وحدّتها سواء أكان طيبا أو نتنا، وبذلك يجعل اللفظ مشتركًا بين الضدّين، لا يختص بأحدهما، ثم يؤكد هذا التعميم ويشرحه ويسوق له شاهدا شعريا، إذ يقول: ((مَا يعمّ الرائحتين أَبُو حنيفَة: الذفَر: حدّة الرّيح طيبَة كَانَت أَو مُنْتِنَة فَمن الطّيب قَوْلهم مسك أذفَر, وَأنْشد:

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٣

بجوّ من قَساً ذَفِر الخُزامى تداعى الجِربِياءُ بِهِ الحنينا

وَمن الْخَبيث تسميتهم الذّفراء ذَفْراءَ: وَهِي نبتة من دِقّ النّبت خبيثة الرّيح وَلذَلِك خُصّت بِهَذَا الِاسْم)) (ابن سيده، ١٩٩٦، ٢٧٢/٣)، إذ يُبيّن أن الاستعمال العربي جرى به في الطيب والخبيث جميعًا، غير أنه لا يقف عند هذا التعميم، بل ينتقل إلى دائرة أضيق من التخصيص، فيقول: ((الذَّفَرُ والذَّفَرَةُ جَمِيعا شِدَّةُ ذكاءِ الرِّيحِ من طِيبٍ أو نَتْنٍ وخَصَّ اللِّحْيانِيُّ بهما رائِحَةَ الإِبْطِ المُنْتِنَ وقد ذَفِرَ فهُوَ ذَفِرٌ وأَذْفَرُ والأُنْثى ذَفِرَةٌ وذَفْراءُ ومِسْكٌ أَذْفَرُ وذَفِرٌ وهو أَجْوَدُهُ وأَقْرَتُه وقالَ ابنُ الأَعْرابِيِّ الذَّفَرُ النَّتْنُ ولا يُقالُ في شَيْءٍ من الطِّيبِ ذَفِرٌ إلا فِي المِسْكِ وَحْدَه وقد قَدَّمْنا أَنَّ الذَّفَرَ بالدال في النَّتْنِ خاصَّةً)) (ابن سيده، ٢٠٠٠، ٦٣/١٠)، هنا تتجلى دقته؛ إذ يثبت المعنى العام أولًا، ثم يورد آراءً تقصر اللفظ على رائحة الإبط المنتنة، أو تجعله خاصًا بالنتن، مع استثناء المسك، فهو لا يتبنى هذا القصر تبنيًا مطلقًا، بل يعرضه بوصفه رأيًا لبعض أهل اللغة، مما يدل على وعيه بتنوع الاتجاهات في التخصيص.

وإذا رجعنا إلى من سبق ابن سيده، وجدنا أن المعنى العام والخاص للفظ كان مستقرًا عند الخليل، إذ قال: ((الذَّفَرُ مصدر الأَذْفَر، وهو سُوءُ رِيح الإِبْطِ، والاسمُ الذَّفَرة، ومَسْكٌ أَذْفَر أي ذَكيٌ جيّد)) (الخليل، د. ت، ١٨١/٨)، فجمع بين تخصيصه بسوء ريح الإبط، واستعماله في الطيب، مما يدل على أن اللفظ عنده ذو جهتين: جهة عامة في الشدة، وجهة خاصة في الإبط، وأكد القاسم بن سلام هذا الاتجاه نفسه، وذلك بقوله: ((وَأما الذَفَر بِالذَّالِ مُعْجمَة وَفتح الْفَاء فَإِنَّهُ يُقَال ذَلِك لكل ريح ذكية شَدِيدَة من طيب أَو نَتن: ذَفَر قَالَ وَمِنْه قيل: مِسك أذفر. قَالَ أَبُو عبيد: فَهَذَا مَا يُوصف بِهِ الذفر فِي شدَّة ريح الطّيب وَأما مَا يُقَال فِي النتن فَقَوْلهم فِي ذفر الْإِبِط وَهُوَ نتنه وكذلك)) (القاسم بن سلام، ١٩٦٤، ٢٣٦/٣-٢٣٧)، فهو يصرّح بعمومه ثم يذكر الإبط مثالًا للنتن، لا قصرًا عليه، بينما ركز بعض العلماء على المعنى العام للفظ فقط (أبو مسحل، ١٩٦١، ٢١/١) و(ابن السكيت، ٢٠٠٢، ٢٣٨/١)، وفي هذا الصدد يقول ابن قتيبة: ((والذَّفَرُ: شِدَّة ريح الشيء الطيب والشيء الخبيث)) (ابلن قتيبة، د. ت، ٢٠١/١)، ثم يزيد تفصيلًا فيفرق بين المتحرك والساكن فيقول: ((والذفر شدَّة الرَّائِحَة من الشَّيْء الطّيب أَو الشَّيْء الْخَبيث الرّيح، فَأَما الذفر بتسكين الْفَاء فَإِنَّهُ النتن خَاصَّة وَمِنْه قيل للدنيا أم ذفر)) (ابن قتيبة، ١٩٨٨

٤٣٧/١-٤٣٨)، فهذا التفريق الصوتي بين الذَّفَر والدَّفْر كان طريقًا عند بعضهم لتخصيص أحد اللفظين بالنتن.

أما كراع النمل فقد صرح بكون اللفظ من الأضداد، فقال: ((والذَّفْرُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ والمُنْتِنَةُ ضِدٌّ، وَيُقَالُ في الطِّيبِ: أَذْفَرُ وَذَفِرٌ، وفي النَّتْنِ: ذَفِرٌ لا غَيْرُ، قال:

بِجَوٍّ مِنْ قَسَا ذَفِرِ الخُزَامَى تَدَاعَى الجِرْبِيَاءُ بِهِ الحَنِينَا)) (كراع النمل، ١٩٨٩ ٢٥٥/١) و(ابن الأنباري، ١٩٨٧ ،٨٨/١)، ثم يخصصه في موضع آخر بالإبط، إذ يقول: ((باب النتن ... والذَّفَرُ: في الإِبطِ)) (كراع النمل، ١٩٨٩ ،٢٥٦/١)، أما ابن دريد فجعله في النتن دون تخصيص دقيق بالإبط: ((وَقَالَ الْأَصْمَعِي: الذَّفَر، بِالذَّالِ الْمُعْجَمَة: حِدة الرَّائِحَة من طِيب أَو نَتْن، والدَّفْر، بِالدَّال غير الْمُعْجَمَة وتسكين الْفَاء: النَّتْن لَا غير)) (ابن دريد، ١٩٨٧ ١٣٢٢/٣)، في حين جعله ابن الأنباري وغيره في الإبط دون التصريح بتخصيصه فيه فاذكره كمثال لمعنى اللفظ، فقال: ((والذَّفَرُ عند العرب: كل ريح ذكيّة شديدة، من طيب أو نتن، فمن الطيب قولهم: مسك أذفر، ومن النتن قولهم: شممت ذفرَ إبطِهِ أي: نَتَنَهُ)) (ابن الأنباري، ١٩٩٢ ٤٧٤/١) و(الصاحب بن عباد، د. ت ،٣٩٦/٢)، يتبين مما ذهب إليه العلماء الذين سبقوا ابن سيده أن المعنى العام – وهو شدة الرائحة وحدّتها مطلقًا – كان هو الغالب عند جمهور المتقدمين، مع وجود اتجاهين في التخصيص: أحدهما تخصيصه بسوء ريح الإبط، والآخر تخصيصه بالنتن مطلقًا، مع استثناء المسك عند بعضهم، غير أن هذا التخصيص لم يكن إجماعيًا، بل كان رأيًا ضمن آراء، ولما جاء ابن سيده، أثبت المعنى العام بوضوح، ثم أبرز التخصيص على مستويين: تخصيص اللحياني له برائحة الإبط المنتنة، وتخصيص ابن الأعرابي له بالنتن، مع استثناء المسك. فهو لم يبتدع التخصيص، لكنه حرّره ونسّقه داخل البنية الدلالية للفظ، فجعل العام أصلًا، والتخصيص فرعًا مرويًا عن بعض أهل اللغة.

أما من جاء بعده فقد ساروا على هذا النهج في الجملة، فالزمخشري وسع استعمال اللفظ في الطيب والنتن معًا (الزمخشري، ١٩٩٨ ،٣١٣/١)، وتابع ابن منظور وغيره من العلماء منهج ابن سيده في الجمع بين المعنيين العام والخاص، فجميعهم يثبتون التعميم أولًا، ثم يذكرون

التخصيص برائحة الإبط أو بالنتن تحديدا نقلا عن ابن سيده (ابن منظور، ١٩٩٣، ٣٠٦/١) و(الفيومي، د. ت، ٢٠٨/١) و(الزبيدي، د. ت، ٣٧٣/١١).

وخلاصة الأمر أن المعنى العام للذَّفَر عند جمهور اللغويين هو: شدة الرائحة وحدّتها، طيبة كانت أو خبيثة، وأما التخصيص فكان على نوعين: تخصيص موضعي برائحة الإبط، وتخصيص دلالي بالنتن خاصة، مع استثناء المسك عند بعضهم، وابن سيده لم ينفرد بابتداع هذا التخصيص، لكنه تميّز بإبرازه ضمن بناء دلالي واضح، فجعل التعميم أصلًا مقرّرًا، ثم أدرج تحته الأقوال الخاصة، مبيّنًا نسبتها إلى أصحابها، ومن تبعه سلكوا مسلكه في الجمع بين المعنى العام ووجوه التخصيص، مما يدل على أن منهجه في تحرير الدلالة كان له أثر ظاهر في من جاء بعده.

الردف:

قال ابن سيده: ((ورِدْفُ كُلِّ شيْءٍ: مُؤَخَّرُه، والرِّدْفُ: العَجُزُ. وخَصَّ بعضهم به عَجِيزَةَ المَرْأَةِ)) (ابن سيده، ٢٠٠٠، ٣٠٢/٩)، فالردف لفظ يشير في معناه العام إلى مؤخر كل شيء أو العجز، ثم تخصيصه عند بعضهم بعجيزة المرأة، وهذا التخصيص يظهر كإضافة دقيقة على المعنى العام، إذ يشير إلى جزء من الجسم يُعتبر رمزًا للعجز النسبي في السن المتقدم للمرأة.

قبل ابن سيده، نجد أن الخليل حصر المعنى في الكَفَل، أي ما يُتَوَسَّط في الجسم من وراء، فقال: ((والرِّدْف: الكَفَلُ)) (الخليل، د. ت، ٢٣/٨)، وهذا تعريف عام لم يشمل العجز أو التخصيص للمرأة، وتبعه بعض العلماء في المعنى نفسه إذ ذهبوا إلى أن الردف هو الكفل والعجز دون تخصيص يذكر (ابن دريد، ١٩٨٧، ٦٣٤/٢) و(الفارابي، ٢٠٠٣، ١٨٩/١) و(الصاحب بن عباد، د. ت، ٣٤٣/٢)، أما لويس معلوف فقد ربط هذا المعنى بعجيزة المرأة وهو ما يقارب من تخصيص ابن سيده فقد سبقه وإن لم يشر صراحة إلى التخصيص، فقال: ((ورِدْف المرأةِ: عَجِيزَتُها، والرِّدْفُ: الذي يرْكَبُ خلف الفارس. ورِدْف كُلِّ شيء: مُؤَخَّرُهُ، وجمعه أرداف)) (لويس معلوف، ١٩٠٨، ٢١٢/١)، أما ابن فارس فقد ذكر المعنى الخاص الذي ذهب إليه ابن سيده لاحقا، بقوله: ((وردف المرأة: عجيزتها)) (ابن فارس، ١٩٨٦، ٤٢٧/١)، ثم

أضاف بعدًا لغويًا من خلال اشتقاق الفعل: ((الرَّاءُ وَالدَّالُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى اتِّبَاعِ الشَّيْءِ، فَالتَّرَادُفُ: التَّتَابُعُ، وَالرَّدِيفُ: الَّذِي يُرَادِفُكَ، وَسُمِّيَتِ الْعَجِيزَةُ رِدْفًا مِنْ ذَلِكَ)) (ابن فارس، ١٩٧٩، ٥٠٣/٢)، مما يربط بين المعنى العام للردف باعتباره مؤخر كل شيء، وبين التخصيص للمرأة، مستندًا إلى دلالة لغوية على التتابع والاتباع، وهو توسع عن مجرد تحديد العضو.

بعد ابن سيده، نجد أن بعض العلماء كرّروا المعنى العام فقط دون إشارة إلى تخصيص المعنى (الصغاني، د. ت ،٤١٥/١) و(الرازي، ١٩٩٩ ،١٢١/١)، ووافق بعضهم الآخر ابن سيده من خلال نقل نصه حرفيا مكررين تخصيص المعنى نفسه، فقال ابن منظور: ((ورَدْفُ كُلِّ شَيْءٍ: مؤخَّرُه، والرِّدْفُ: الكَفَلُ والعجُزُ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ عَجِيزَةَ المرأَة)) (ابن منظور، ١٩٩٣ ،١١٥/٩)، وهو أيضا ما كرره غيره من العلماء (الفيومي، د. ت ،٢٢٤/١) و(الزبيدي، د. ت ،٣٣٥/٢٣)، مما يدل على استمرار تأكيد المعنى العام، مع الإشارة إلى المعنى الخاص عند بعض العلماء.

وبذلك يمكن القول إن التطور الدلالي للردف يشير أولًا إلى المعنى العام باعتباره مؤخر كل شيء أو الكفَل، وهو ما ركز عليه العلماء المتقدمين، وتميز ابن فارس بربطه بين المعنى اللغوي للتتابع وبين التخصيص للمرأة، أما ابن سيده كان الأبرز في التخصيص الواضح لعجيزة المرأة ضمن المعنى العام، وكرّر هذا الرأي من تبعه من العلماء، مع اتفاق جزئي حول الجمع بين المعنى العام والعجز، وبعضهم اكتفى بالمعنى العام فقط، بهذا يظهر أن ابن سيده أحدث نوعًا من الدقة والتحسين في التخصيص الدلالي للفظ ضمن نطاقها العام.

المبحث الثاني: صفات الأعضاء وهيئاته الخِلقية

تتناول هذه المرحلة من الدراسة ألفاظ صفات الأعضاء وهيئاتها الخلقية عند ابن سيده، مع التركيز على كيفية تخصيص المعنى فيها. يوضح التحليل كيف انتقل بعض الألفاظ من دلالة

عامة تشمل الصفات البشرية عمومًا إلى دلالات خاصة تصف هيئة عضو معيّن أو صفة محددة، مع إبراز ما أورده المعجمي من توضيح للمعنى العام والخاص.

السهوق:

قال ابن سيده في باب (الطول من الناس): ((والسَّهْوق وَخص بعضُهم بِهِ الطويلَ الرِّجلين)) (ابن سيده، ١٩٩٦، ١٨١/١٠)، فاللفظ في أصله يدلّ على الطول والامتداد، غير أنّ هذا الطول لم يظلّ على إطلاقه في جميع الاستعمالات، بل اتجه في بعض السياقات إلى تخصيص جزئي يتصل ببنية الجسد وتحديدا بطويل الرجلين، وأكد هذا التخصيص في موضع آخر، فقال: ((والسَّهْوَقُ: الطَّوِيل من الرِّجَال، وتستعمل فِي غَيرهم، قَالَ المرار الْأَسدي:

كأنني فَوقَ أَقَبَّ سَهوَقٍ جَأْبٍ إِذا عَشَّرَ صاتِ الإرنانْ

وَأنْشد يَعْقُوب:

فَهِيَ تُبارى كُلَّ سارٍ سَهْوَقِ أَبَدَّ بَيْنَ الأُذُنَيْنِ أَفْرَقِ

مؤجَّدِ المَتْنِ مِتَلّ مِطْرِقِ لَا يُؤدِمُ الحيَّ إِذَا لَمْ يُغبَقش

وَخص بَعضهم بِهِ الطَّوِيل الرجلَيْن)) (ابن سيده، ٢٠٠٠، ١١٧/٤)، ومن تأمّل هذين النصين يتضح أنه يثبت المعنى العام أولًا، وهو الطول المطلق في الرجال، ثم يوسّع الدائرة فيشير إلى استعماله في غيرهم، ثم يختم بذكر التخصيص، فيقول: (وخص بعضهم به الطويل الرجلين)، وهذا التدرّج ليس عرضًا عابرًا، بل يكشف عن وعي معجمي يقبض على الدلالة في حركتها من العام إلى الخاص، فعبارة (وخص بعضهم به الطويل الرجلين) تنقلنا إلى مستوى أدق، إذ يتحول الوصف من الطول الكلي إلى طول مخصوص في الرجلين أو الساقين، وهو انتقال من وصف الهيئة العامة إلى توصيف عضو بعينه، وتؤكّد الشواهد التي أوردها هذا الاتساع في الاستعمال؛ فقول المرّار الأسدي يصف دابة طويلة مرتفعة، وكذلك البيت الآخر، ففي هذين الشاهدين يظهر السهوق وصفًا للطول الممتد في الحيوان، لا في الإنسان وحده.

وعند الرجوع إلى من سبق ابن سيده يتبيّن أن جمهورهم اقتصروا على المعنى العام. فقال الخليل: ((والسّهْوَقُ: الطويل من الرجال. قال الشاعر:

وظيفٌ أَزَجُّ الخَطْوِ رَيّانُ سَهْوَقُ)) (الخليل، د. ت ،٣٦٢/٣)، وهو نصّ لا يجاوز الإطلاق مستشهدا بقول الشاعر لتثبيت المعنى العام، وأورد ابن سلام اللفظ أيضا في باب (الطوال من الناس) بمعناه العام (أبو عبيد، ١٩٩٥ ،٣٣٢/١-٣٣٣)، وهو ما أكده غيرهما من العلماء فمعنى اللفظ هو الطويل أو الطويل من الرجال دون إشارة إلى تخصيصه بالرجلين (أبو مسحل، ١٩٦١ ،٨/١) و(ابن قتيبة، ١٩٩٧ ،٢٠٩/١) و(كراع النمل، ١٩٨٩ ،١٦٠/١)، فالسياق المعجمي العام قبل ابن سيده كان يميل إلى تثبيت الطول بإطلاق دون أي تخصيص.

غير أن استثناءً مهمًا يبرز عند ابن دريد، إذ قال: ((السَّهْق: فعل ممات، وَمِنْه اشتقاق السَّهْوَق، وَهُوَ الظليم الطَّوِيل الرجلَيْن، وَرُبمَا سُمّي الرجل الطَّوِيل السَّاقَيْن سَهْوَقاً)) (ابن دريد، ١٩٨٧ ،٨٥٣/٢)، فهنا نجد تخصيصًا صريحا سابقا لابن سيده، إذ ربط اللفظ بطول الرجلين وجعله في النعام تحديدا، ثم جعله في الرجل، وهذا يدل على أن التخصيص لم يكن من ابتداع ابن سيده، غير أنّه لم يكن هو المعنى الغالب في التداول، بل جاء في سياق اشتقاقي خاص.

وقد تلقّى من جاء بعده هذا الجمع، فنجد ابن منظور ينص على أن السهوق هو: ((الطَّوِيلُ مِنَ الرِّجَالِ وَيُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهِمْ؛ قَالَ المرَّار الأَسدي:

كأَنَّني فوقَ أَقَبَّ سَهْوَقٍ جَأْبٍ، إِذَا عَشَّرَ، صَاتِي الإِرْنان

وَأَنْشَدَ يَعْقُوبُ:

فَهِيَ تُباري كلَّ سارٍ سَهْوَقِ أَبَدَّ بَيْنَ الأُذُنَيْنِ أَفْرَقِ

مؤجَّدِ المَتْنِ مِتَلّ مُطْرِقِ لَا يُؤدِمُ الحيَّ إِذَا لَمْ يُغْبَقِ

وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الطَّوِيلَ الرِّجْلَيْنِ)) (ابن منظور، ١٩٩٣ ،١٦٥/١٠-١٦٦)، وهو نصّ يكاد يردّد عبارة ابن سيده، مما يدل على تأثر واضح به وتبنٍّ لطريقته في الجمع بين العام والخاص، وكذلك فعل غيره من العلماء إذ أوردوا الطول المطلق، ثم خصصوه بالساقين، مثبتين أن الأصل

هو الامتداد والطول، وأن التخصيص أحد فروعه (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، ٨٩٩٦/١) و(الزبيدي، د. ت، ٤٨٤/٢٥-٤٨٦) و(أحمد رضا، ١٩٥٨، ٢٣٥/٣)، مما يدل على استقرار هذا التخصيص في المعجمية المتأخرة.

وهكذا يتبيّن أن (السَّهوق) بدأ بدلالة عامة هي الطول الممتد، ثم نشأ عنه تخصيص جزئي تشريحي يركّز على الرجلين أو الساقين، وقد وُجدت بوادر هذا التخصيص قبل ابن سيده عند ابن دريد، غير أن ابن سيده هو الذي أدرجه في نسق دلالي منظم، مثبتًا العلاقة بين الأصل والفرع، ومن ثمّ فإن دوره كان تنظيميًا توثيقيًا أكثر منه ابتداعيًا، غير أن أثره بدا واضحًا فيمن لحقه، إذ تبعوه وأيّدوا الجمع بين المعنيين، مما رسّخ التخصيص بوصفه معنى معترفًا به داخل الحقل الدلالي للفظ.

القهل:

قال ابن سيده: ((يُقال قَهَل جلده وقَحَل، والمتقهل: اليابس الجلد)) (ابن سيده، ١٩٩٦، ١٨٥/٤)، يدور اللفظ في الاستعمال حول معنى الحسّ والهيئة الجسدية، غير أنّه مثال واضح على انتقال الدلالة من وصفٍ مادّي مباشر إلى وصفٍ سلوكي – روحي ناشئ عنه، وهو انتقال التقطه ابن سيده بدقة، ثم عاد وصرح قائلا: ((قَهَل جلده، وتقهّل: يبس، وخص بعضهم به اليبس من العبادة)) (ابن سيده، ٢٠٠٠، ١٢٤/٤)، ومن هذين النصين يتضح أنه يبدأ بتقرير المعنى الحسي الخالص: يبس الجلد، ثم يذكر تخصيصًا ناشئًا عنه، لا في الجسد ذاته بل في سببه، وهو أثر العبادة والزهد، فالدلالة عنده ذات طبقتين: أصل حسي، وفرع سببي سلوكي.

وعند الرجوع إلى الطبقة المعجمية السابقة له يظهر أن المعنى الأول كان جسديًا محضًا لا يتجاوز ظاهر الهيئة، فقال ابن السكيت: ((ويقال قحل جلده وقهل إذا يبس)) (ابن السكيت، ١٩٠٣، ٢٧/١)، وتكرر المعنى نفسه في إطاره العام عند بعض العلماء ممن جاءوا بعده (الأزهري، ٢٠٠١، ٣٣/٤) و(الصاحب بن عباد، د. ت، ٢٧٧/١) و(الجوهري، ١٩٨٧، ١٨٠٧/٥)، مما يدل أن معنى اللفظ يدور في إطار الوصف الجسدي المباشر؛ فاليبس هنا أثر بدني للفقر أو الشدة أو الإهمال، ولم يُربط بعدُ بسبب تعبدي مخصوص.

وهنا يظهر دور ابن سيده؛ إذ لم يغيّر المعنى، بل فسّر آلية انتقاله، فالزاهد لكثرة السهر والصوم وترك الترف ييبس جلده، فغلب إطلاق اللفظ عليه، فالتخصيص إذن ليس عضويًا بل سببيًّا تداوليًّا وهو الانتقال من الصفة إلى صاحب الصفة الغالب.

ومن اللافت أن اللاحقين تبنّوا هذا التوجيه نفسه، فقد قال الزمخشري: ((وتقهّل جلده وتقحّل: يبس)) (الزمخشري، ١٩٩٨، ١٠٦/٢)، مثبتًا الأصل الحسي، بينما نقل ابن منظور عبارة ابن سيده نفسها، فقال: ((المحكم: قَهِل جلده وقَهَل وتقهّل ييبس، فهو قاهل قاحل، وخص بعضهم به اليبس من العبادة، قال:

من راهب متبتل متقهّل صادى النهار لليله متهجّد

والقَهَل في الجسم: القشف، واليبس القره)) (ابن منظور، ١٩٩٣، ٥٧١/١١)، والشاهد يوضح التحول الدلالي؛ فاللفظ لا يصف مجرد هيئة جلد، بل حالة روحية انعكست على الجسد، فصار القهل علامة الزهد، وتبعه في هذا الاتجاه من الجمع بين المعنيين علماء آخرون (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، ١٠٥١/١) و(الزبيدي، د. ت، ٣٠٢/٣٠) و(أحمد رضا، ١٩٥٨، ٦٦٩/٤).

وعليه يتبين أن القهل مرّ بمسار دلالي واضح أحدهما معنى حسي مباشر هو يبس الجلد، والثاني استعمال وصفي لحال الإنسان البائس أو المتقشف، أما الثالث فهو تخصيص سببي بالزاهد العابد لكثرة ما يظهر عليه هذا الأثر، ولم يكن ابن سيده مخترع المعنى الخاص، بل كان أول من صاغ العلاقة بين المعنيين صياغة معجمية واعية، فحوّل الاستعمال من مجرد وصف جسدي إلى علامة دلالية على العبادة، ومن ثم تبعه المعجميون بعده وأيّدوه بنقل عبارته أو شواهده، فاستقر اللفظ في العربية مثالًا على التخصيص السببي: انتقال الصفة من أثرٍ بدني إلى دلالة سلوكية روحية.

المبحث الثالث: أحوال الجسد ووظائفه الحيوية

ينتقل البحث هنا إلى دراسة ألفاظ أحوال الجسد ووظائفه الحيوية عند ابن سيده، مع التركيز على مسار تخصيص المعنى فيها. يوضح التحليل كيف حوّلت الاستخدامات المختلفة بعض الألفاظ من دلالة عامة تشمل الجسم ككل إلى معانٍ خاصة تصف حالة معينة أو وظيفة حيوية محددة، مع إبراز ما وثقه المعجمي من تفصيل للمعنى العام والخاص.

البرحاء:

قال ابن سيده: ((البُرَحاء: شدة الحمى، وقيل كل شدة بُرَحاء)) (ابن سيده، ١٩٩٦، ٤٧٤/١)، يدمج في هذا النص بين المعنى العام للشدة والمعنى الخاص لشدة الحمى، هذه العبارة تظهر وعيه بالتمييز بين الاستخدام العام للكلمة، حيث تشمل أي شدة، وبين الاستخدام الخاص الذي يخص الحمى، وهو التخصيص الذي أضفى عمقاً دلالياً على الكلمة. ولم يكتفِ بهذا، بل عزز هذا المعنى بقوله: ((البُرَحاء: الشدة، وخص بعضهم به شدة الحمى)) (ابن سيده، ١٩٩٦، ٣٦٥/٣) و(ابن سيده، ٢٠٠٠، ٣٢٤/٣)، مؤكداً أن المعنى الخاص لم يلغِ العام، بل خصصه في سياق الحمى.

قبل ابن سيده، ركز الخليل على المعنى الخاص دون توسيع للدلالة العامة، إذ عرفه بقوله: ((والبُرَحاءُ: الحُمَّى الشديدة)) (الخليل، د. ت، ٢١٦/٣)، وهذا ما يعكس الاهتمام المبكر بالحمى الشديدة كمفهوم محدد، دون الإشارة إلى الشدة العامة، وذهب القاسم بن سلام أبعد قليلاً في السياق الطبي والحديثي حين قال: ((كنت أرى الرؤيا أعرى منها غير أني لا أزمّل حتى لقيت أبا قتادة فذكرت ذلك له. قوله: أُعرى منها هو من العرواء وهي الرعدة عند الحمّى. يقال منه: قد عُرِي الرجل فهو معروّ إذا وجد ذلك. فإذا تثاءب عليه فهي الثؤباء، وإذا تمطى عليها فهي المطواء، وإذا عرق فهي الرحضاء. ومنه الحديث المرفوع أنه جعل يمسح الرحضاء عن وجهه في مرضه الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم. فإذا أصابته الحمى الشديدة قيل: أصابته البرحاء. احاديث عمر ابن عبد العزيز ابن مروان رحمه الله)) (القاسم بن سلام، ١٩٨٤، ٤١٣/٤)، موضحاً العلاقة بين البرحاء والحمى ضمن الرؤية الصحية والحديثية.

وهناك علماء أثبتوا المعنى العام للفظ وهو الشدة دون أي إشارة إلى تخصيصه بالحمى (أبو مسحل، ١٩٦١، ١٩/١) و(كراع النمل، ١٩٨٩، ٥٧٨/١) و(الفارابي، ٢٠٠٣، ١٢/٢)، ثم جاء الأزهري ليبرز الجمع بين المعنى العام والخاص، ناقلاً قول الليث: ((وقال الليث: يقال للمحموم الشديد الحمى: أصابته البُرَحاءُ... فإن اشتدت الحمى فهي البرحاء، والبرحاء: الشدة والمشقة)) (الأزهري، ٢٠٠١، ٢٠/٥)، موضحاً أن اللفظ يحتفظ بمرونته الدلالية، حيث يشمل المعنى العام الشدة والمشقة، بينما يظهر المعنى الخاص عند الحديث عن الحمى، وأكد آخرون أيضا المعنى الخاص للفظ وهو شدة الحمى (الصاحب بن عباد، د. ت، ٢٢٣/١) و(الجوهري، ١٩٨٧، ٣٥٥/١)، وهو ما يظهر قدرة العلماء على الجمع بين المعاني وتوسيعها حسب السياق.

بعد ابن سيده، جاء من تابع منهجه بدقة، فذكر ابن الأثير: ((والحديث الآخر «برحت بي الحمى» أي أصابني منها البرحاء، وهو شدتها، وحديث الإفك «فأخذه البرحاء» أي شدة الكرب من ثقل الوحي)) (ابن الأثير، ١٩٧٩، ١١٣/١)، مؤكداً استمرار المعنى الخاص ضمن السياقات المختلفة، وهكذا تتابع العلماء فيما بعد في تثبيت المعنى الخاص للفظ مع الإشارة إلى المعنى العام أيضا، فقد كرر ابن منظور ما صرح به ابن سيده بدقة فائقة، وجمع المعنيين قائلاً: ((والبُرَحاءُ: الشدة والمشقة، وخص بعضهم به شدة الحمى)) (ابن منظور، ١٩٩٣، ٤١٠/٢)، مما يظهر متابعة دقيقة للمنهج التحليلي لابن سيده، وتبعه في الاتجاه نفسه علماء آخرون (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، ٢١٣/١) و(الزبيدي، د. ت، ٣٠٧/٦) و(أحمد رضا، ١٩٥٨، ٢٦٥/١)، فجمعوا بين المعنى العام والخاص على غرار ما ورد عند ابن سيده.

يُظهر التحليل أن ابن سيده لم يكن مجرد ناقل لمفردات سابقة، بل كان رائداً في دمج المعنى العام للبرحاء مع التخصيص الخاص لشدة الحمى، ومع ذلك، لا يمكن إغفال أن الخليل والقاسم بن سلام قد سبقاه إلى المعنى الخاص للحمى، وإن لم يوسّعوا الدلالة لتشمل الشدة العامة، وهو ما يؤكد أن ابن سيده كان أول من وضع الإطار المنهجي المتكامل للمعنى العام والخاص معاً، ومن بعده، جاء العلماء ليؤيدوا منهجه، مؤكدين على الجمع بين الشدة العامة والتخصيص للحمى، فكان ابن سيده بحق المُوجّه الذي وفر التوازن الدلالي بين العام والخاص لجميع من لحق به.

درست:

قال ابن سيده: ((الدارس كالعارك، وقد درست دروسًا)) (ابن سيده ، ١٩٩٦ ،٦٨/١)، فقد ربط الفعل بصورة عامة للفعل البيولوجي، مع توضيح العلاقة بين الدلالة العامة للفعل واستخداماته في الواقع اللغوي، ثم يوسع المعنى ويخصصه عند الحديث عن المرأة قائلاً: ((ودرست المرأة تدرس درسًا ودروسًا، وهي دارس من نسوة دُرَّس ودوارس: حاضت، وخص اللحياني به حيض الجارية)) (ابن سيده، ٢٠٠٠ ،٤٥٠/٨)، من هذا النص يتبين تمييز المعنى الخاص عن العام، فالمعنى العام للدرس كفعل مألوف، والمعنى الخاص المقتصر على حيض المرأة، ثانيًا، يُخرج المصطلح من الإطار الشعري المجازي ويجعله نظامًا لغويًا محددًا، ثالثًا، يفرّق بين النساء البالغات والجواري من حيث استخدام اللفظ، مؤكدًا على خصوصية الجارية في التعبير عن الحيض.

وبالعودة إلى المعاجم المبكرة قبل ابن سيده، نجد أن الفعل درَسَ كان يُستعمل للدلالة على الحيض، لكنه كان غالبًا معممًا وغير مُحدد اصطلاحيًا، يقول الشيباني عن غسان: ((وقال غسان: قد درست المرأة، إذا حاضت، قال:

اللَّاتِ كالبَيض لمّا تَعْدُ أَنْ دَرَسَتْ صُفْرَ الأَنامِلِ من قَرْع القَوَارِيرِ))

(الشيباني، ١٩٧٤ ،٢٥٠/١)، هذا النص يوضح أن الفعل درَسَ كان مفهومًا ضمن سياق شعري يصور الحيض، لكنه لم يكن مصطلحًا محددًا دلاليًا، وجاءت معظم المعاجم المبكرة لتؤكد المعنى العام نفسه (الفارابي، ٢٠٠٣ ،١١٤/٢) و(الجوهري، ١٩٨٧ ،٩٢٧/١)، ونجد عند بعضهم الآخر إشارة إلى المعنى الخاص للفظ، فقد قال ابن دريد: ((ودرست الجارية، إذا حاضت في بعض اللغات)) (ابن دريد، ١٩٨٧ ،٦٢٧/٢)، مشيرا إلى تخصيص معنى اللفظ بالجارية، وهو أيضا ما أثبته الأزهري مستشهدا بالشعر، فقال: ((والدروس: دروس الجارية إذا طمثت، يقال: جارية دارس، وجوارٍ دُرَّس ودوارس. وقال الأسود بن يعفر يصف جواري حين أدركن:

اللاتِ كالبَيضِ لمّا تَعْدُ أن دَرَسَتْ صُفْرُ الأنامل من نقف القواريرِ

ودرست الجارية تدرس دروسًا)) (الأزهري، ٢٠٠١، ١٢/٢٥٠-٢٥١)، إذ ويورد الشعر ذاته الذي ذكره الشيباني سابقا لتأكيد المعنى ويكون بذلك قد سبق ابن سيده في جعل المعنى خاصا بالجارية.

أما من جاءوا بعد ابن سيده، فقد اكتفى بعضهم بذكر المعنى العام للفظ دون تخصيص ومنهم الزمخشري، فقال: ((ودرست: حاضت)) (الزمخشري، ١٩٩٨، ١/٢٨٤)، وتبعه الصغاني في ذلك مع الاستشهاد بالشعر، فقال: ((ودرست المرأة درسًا ودروسًا: أي حاضت، فهي دارس بلا هاء، قال الأسود بن يعفر النهشلي:

اللاتِ كالبيضِ لمّا تَعْدُ أن دَرَسَت وصُفْرَ الأنامل من قرع القواريرِ

ويروى: من نقف)) (الصغاني، د. ت، ١/١٠٣)، بينما ذهب علماء آخرون إلى اتباع ابن سيده في منهجه، فقد أقرّوا التخصيص نفسه، مثبتين المعنى العام والوجه الخاص الذي حدّده، ليصبح هذا المعنى راسخًا في المعاجم اللاحقة ومستقرًّا في الاستعمال اللغوي، ومنهم ابن منظور قائلا: ((ودرست المرأة تدرس درسًا ودروسًا، وهي دارس من نسوة دُرَّس ودوارس: حاضت، وخص اللحياني به حيض الجارية)) (ابن منظور، ١٩٩٣، ٦/٨٠) و(الزبيدي، د. ت، ١٦/٦٤) و(أحمد رضا، ١٩٥٨، ٢/٤٠٠).

يمكن القول إن ابن سيده كان نقطة التحول في تاريخ هذا الفعل، إذ حول المعنى من مجرد دلالة عامة على الحيض إلى نظام لغوي دقيق يحدد صفة (دارس) والفرق بين الدلالة العامة والخاصة، بينما من سبقه كان المعنى موجودًا لكنه غير مُنظم اصطلاحيًا، ومن لحقه اتبع تخصيصه وثبته، مع بعض الإضافات الطفيفة دون المساس بالتحديد الذي أدخله ابن سيده، وبهذا التحليل، يظهر بوضوح تطور لفظ (درَسَ) من الاستخدام العملي الشعري والمعجمي، مرورًا بالتخصيص المنهجي عند ابن سيده، وصولًا إلى تثبيته في المعاجم التالية، مما يجعل ابن سيده محورًا أساسيًا لفهم هذا اللفظ في تاريخ اللغة العربية، ويمثل نموذجًا للانتقال من المعنى العام إلى التخصيص الدلالي المنهجي.

الخاتمة

١-أظهر ابن سيده حرصًا على تأكيد المعنى العام للكلمة قبل الانتقال إلى التخصيص الخاص، كما في ألفاظ البثر، الذفر، والردف، ما يعكس منهجية دقيقة في ترتيب الدلالة.

٢-لم يبتدع المعاني الخاصة، لكنه نظمها ضمن إطار المعنى العام، مثل تخصيص البثر للوجه، الذفر لرائحة الإبط، والردف لعجوزة المرأة، مع الحفاظ على الصياغة اللغوية الدقيقة للمفرد والجمع.

٣-تميز ابن سيده بالوضوح والدقة في الجمع بين المعنى العام والخاص، بينما السابقون ذكروا الخاص كإشارة أو مثال دون التركيز عليه، مما يعكس تطور الدلالة من مجرد إشارة إلى تحديد دقيق وموثق.

٤-العلماء الذين جاءوا بعده، مثل الزمخشري وابن منظور، تابعوا منهجه في الجمع بين المعنى العام والخاص، مؤكدين أن دقته أسهمت في توحيد الفهم المعجمي لألفاظ الجسد.

٥-معظم ألفاظ صفات الأعضاء بدأت بمعنى عام يشمل الصفات البشرية أو الجسدية، ثم تم تخصيصها لاحقًا لوصف عضو معين أو صفة محددة، كما في لفظة السَّهوق من الطول العام إلى طول الرجلين تحديدًا.

٦-ابن سيده صاغ المعنى الخاص ضمن نسق دلالي منظم، محددًا العلاقة بين الأصل (المعنى العام) والفرع (المعنى الخاص)، كما في لفظتي القهل والمنة، مع توضيح الطبقات المختلفة للدلالة: جسدية، سلوكية، ونفسية.

٧-بعض الألفاظ تحولت دلاليًا من وصف جسدي مباشر إلى توصيف نابع من أثر سببي أو سلوكي، مثل القهل الذي انتقل من يبس الجلد إلى دلالة على الزهد والعبادة، وهو ما اتبعه من جاء بعده.

٨-الشواهد الشعرية والنثرية كانت أداة مركزية في توثيق هذا التدرج الدلالي، تعكس التطبيق الواقعي للفظ داخل السياق البشري أو الحيواني، وتدعم التفسير المنهجي لابن سيده.

٩-ألفاظ مثل البرحاء، درست توضح أن ابن سيده جمع بين المعنى العام للكلمة والمعنى الخاص في سياق محدد، مؤكدًا وعيه الدلالي العميق وقدرته على الجمع بين العموم والخصوص.

١٠بعد ابن سيده، استمر العلماء في تثبيت التمييز بين المعنى العام والخاص، كما يظهر عند الزبيدي وأحمد رضا، ما يدل على نجاح منهجه في ترسيخ التخصيص الدلالي داخل النظام اللغوي ومرونته حسب السياق.

المصادر والمراجع

١- أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، د.ط، مؤسسة الرسالة، د.ت.

٢- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٣- إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت (٢٤٤هـ)، تحقيق: محمد مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، د.ط، دار الهداية، د.ت.

٥- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٦- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٧- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٨- العباب الزاخر واللباب الفاخر، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (٦٥٠هـ)، د.ط، د.ت.

٩- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.

١٠- الغريب المصنف، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (٢٢٤هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٢٦، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العددان

(١٠١،١٠٢)، ١٤١٤/١٤١٥هـ، السنة السابعة والعشرون، العددان (١٠٣-١٠٤)، ١٤١٦-١٤١٧هـ.

١١- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٣- مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس المعروف بثعلب (٢٩١هـ)، د.ط، د.ت.

١٤- مجمل اللغة، لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٥-المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن سيده المرسي (٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٦- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٧- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٨- المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (٣٨٥هـ)، د.ط، د.ت.

١٩- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (٧٧٠هـ)، د.ط، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

٢١- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (٣٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، د. إبراهيم أنيس، د.ط، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار)، د.ط، دار الدعوة، د.ت.

٢٣- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، و محمود محمد الطناحي، د.ط، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

Sources and References

1- The Writer's Etiquette, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutaybah Al-Dinawari (276 AH), edited by: Muhammad Al-Dali, n.p., Al-Risalah Foundation, n.d .
2- Basis of Rheem, Abu al-Qasim Mahmoud bin Ahmad, Al-Zakhkhari Jarallah (5388 e), Investigation: Muhammad Basil Black Eye, C1, Scientific Books House, Beirut - Lebanon, 1419E-1998 .
3- Reformation of Logik, Abu Yusuf Yaqoub bin Ishaq bin Al-Sukeet (244H), Achievement: Muhammad Meraib, T1, House of Arab Heritage Revival, 1423H - 2002 .
4- Taj Al-Bride from Gawaher Al-Gdictionary, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Husseini, Abu Fayd, alias Mortada Al-Zubeidi (12015), Investigation: A group of investigators, Dr. I, DT, DT .
5- Taj of Arabic Language and Hasan, Abu Nasr Ismail bin Hammad Elghouri Al-Farabi (393e), Investigation: Ahmed Abdel Ghafur Attar, T4, Dar-al-Alam for Million, Beirut, 1407AH - 1987 .
6- Language refinement, Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Hrawi, Abu Mansour (370H), investigation: Muhammad Awad Meraib, T1, Arab Heritage Revival House, Beirut, 2007 .
7- Language community, Abu Bakr Muhammad bin Hassan bin Darid al-Azadi (321h), Investigation: Ramzi Munir Baalbeki, I, Dar al-Alam for millions, Beirut, 1987 .
8- Al-Abbab Al-Zahir and the Luxury Bab, Rezi Al-Din Al-Hassan bin Muhammad bin Al-Hassan bin Haidar Al-Adawi Al-Amri Al-Qurshi Al-Saqih Al-Hanafi (650H), d. I, D, T .
9- Al-Ayn, Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi (d. Fr. "Ibn Ibrahim al-Samarai, Fr. I, D, T .
10- Al-Gharaib al-Qasim bin Salam bin Abdullah al-Harui al-Baghdadi (224H), investigation: Safwan Adnan Daoudi, I 26, Islamic University magazine, Medina, issues (102, 101), 1415-1414H, Twenty-seventh Year, issues (103-104), 1416-1417H .
11- The Almassif Dictionary, Majd al-Din Abu Taher Muhammad ibn Yaqoub al-Frourouzabadi (817H), Investigation: Heritage Investigation Office at Al-Misalah Foundation, Mohamed Naim al-

Aqsousi, I 8, Al-Haralah Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 1426H - 2005.

12- Arab tongue, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu Fadl Jamal al-Din bin Manzoar Al-Ansari Al-Ruifei African (71AH), 3rd Dar Sadr, Beirut, 1414AH .

13- Fox Councils, Ahmad bin Yahya bin Zeid bin Sayyar al-Shaybani with allegiance, Abu al-Abbas known as Thufox (291h), d. I, D, T .

14- The entirety of the language, by Ibn Fares, Ahmed bin Fares bin Zakariya al-Qazwani al-Razi Abu al-Husayn (3955), Investigation: Zuhair Abdul Mohsen Sultan, d. I, Message Foundation, Beirut, 1406E-1986 .

15- Supreme Court and the Great Ocean, Abulhassan Ali Benseida Al-Morsi (4588e), investigation: Abdelhamid Hindawi, T1, Dar al Books scientifiques, Beirut, 1421e-2000 .

16- Mokhtar Al-Saha, Zainuddin Abu Abdullah Muhammad bin Aboubekir bin Abdul Qadir Al-Hanafi Al-Razi (666H), Investigation: Youssef Sheikh Mohammed, I, Modern Library - Dar Model, Beirut - Sidon, 1420ah-1999 .

17- Al-ad hoc, Abu al-Hassan Ali bin Ismail bin Seida al-Morsi (4588e), Investigation: Khalil Ibrahim Jafal, I, House of Arab Heritage Revival, Beirut, 1417ah-1996 .

18- In the language, Ismail ibn Abbad ibn Abbas Abu Qasim al-Taleqani, known as Sahib ibn Abbad (385e), d. I, D, T.

19- Al-Zahr in Language Sciences and Types, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Siouiti (911H), Investigation: Fouad Ali Mansour, T1, Dar al-Books al-Scientific, Beirut, 1418e-1998 .

20- The light bulb in Ghraib al-Sharah al-Kabir, Ahmad bin Muhammad bin Ali al-Fayumi, then Hamoui, Abu Abbas (7707 AH), D. I, Scientific Library, Beirut, DT .

21- Abu Ibrahim Ishaq ibn Ibrahim al-Husayn al-Farabi". Ahmed Mukhtar Omar, Dr. Ibrahim Anis, Dr. I, People's House Foundation for Press, Printing and Publishing, Cairo, 1424E – 2000

22- Intermediate lexicon, Cairo Arabic Language Academy (Ibrahim Mustafa, Ahmed Zayat, Hamed Abdelkader and Mohamed Najjar), D. Calling House, DT .

23- Language Standards, Ahmad bin Fares bin Zakariya al-Qazweni al-Razi Abu al-Husayn (395e), Investigation: Abdulsalam Muhammad Harun, d. I, House of Thought, 1939e-1979 .

24- The end in Ghraib al-Hadith and Impact, Majd al-Din Abu al-Sa 'adat al-blessed bin Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim al-Shaybani al-Jazari bin al-Ather (6066), investigation: Taher Ahmad Zaoui, Mahmoud Muhammad al-Tanahi, d. I, Scientific Library, Beirut, 1399e-1979.